الفلسفة التطبيقية وتمثيل الآخر في التراث الإسلامي: قراءة في منهج البيروني

إعداد:.د. عبدالرحمن علي الزرقاني*

تاريخ الاستلام2026/1/13– تاريخ القبول2026/2/12م تاريخ النشر 2026/3/16

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على الركائز المنهجية والمعرفية التي ارتضاها البيروني في دراسة الأديان، إضافة إلى فحص إذا ما كان ما قدمه في دراسة الأديان يمثل تجربة حقيقية في الفلسفة التطبيقية، مع محاولة استكشاف الفائدة من النموذج المنهجي الذي قدمه البيروني في واقعنا الراهن، وقد تم استخدام المنهج التحليلي لتفكيك مفاهيم البيروني في دراسة الأديان، مع توظيف آليات المقارنة للوقوف على حدود أحكامه، كما تم استخدام المنهج التاريخي وذلك لفحص البنية المعرفية السائدة في تلك الفترة؛ حتى يتم الوقوف على طبيعة العلاقة بين منهجه والبنية الفكرية لعصره. وتوصل الباحث إلى أن البيروني قدم منهجا متماسكا في تمثيل الآخر استطاع من خلاله أن ينقل هذا النوع من الدراسات إلى مجال الفلسفة التطبيقية، وأن ما كتبه في هذا المجال هو إرث معرفي يقتدى به.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة التطبيقية. تمثيل الآخر. دراسة الأديان. الفكر الإسلامي. البنية المعرفية

* قسم الفلسفة– كلية الآداب– الخمس–جامعة المرقب abdelrahman.alzarqani@elmergib.edu.ly

Applied Philosophy and the Representation of the Other in Islamic Heritage:A Study of Al-Biruni's Methodology

Dr. Abdulrahman Ali Al-Zarqani

received January/ 13/2026-accepted February/12/2026 –published march/16/2026

Abstract:

This study aims to identify the methodological and epistemological foundations adopted by al-Biruni in his study of religions, and to examine whether his contributions to this field represent a genuine experiment in applied philosophy. It also seeks to explore the relevance of al-Biruni's methodological model to our current reality. The analytical method was employed to deconstruct al-Biruni's concepts in the study of religions, along with comparative methods to determine the limitations of his judgments. The historical method was also used to examine the prevailing epistemological framework of his era, in order to understand the relationship between his methodology and the intellectual landscape of his time. The researcher concluded that al-Biruni presented a coherent approach to representing the "other," enabling him to integrate this type of study into the realm of applied philosophy, and that his writings in this area constitute a valuable intellectual legacy.

Keywords:

Applied philosophy. Representing the other. Studying religions. Islamic thought. Cognitive structure.

المقدمة:

مشكلة الدراسة: درجت العادة في أدبيات الدراسات الفكرية على أن إنتاج الفيلسوف هو امتداد لسياقه المعرفي والتاريخي.

غير أن تجربة أبي الريحان البيروني في دراسته للأديان تثير تساؤلاً حول مسايرته لأفق عصره، أو تجاوزه له، خاصة فيما يتعلق باستخدامه للمنهج، وطرق المعالجات المعرفية والأخلاقية.

ومن ثم، فإن تقدير قيمة ما قدمه، ومدى تأسيسه لقاعدة منهجية في دراسة الأديان متوقف على فحصنا للسياق التاريخي والمعرفي الذي عاش فيه، مما يثير هذا تساؤلاً يرتبط بفحص إمكانية كشف علاقة ما أنتجه بذلك الأساس المعرفي: هل كان امتداداً للسياق الذي ينتمي إليه البيروني، أم هو إعادة تشكيل نقدي له؟

وفق هذا الطرح: فهل يعد ما قدمه أبي الريحان البيروني في دراسة الأديان نموذجاً سابقا لعصره في الفلسفة التطبيقية بأبعادها الأخلاقية والمعرفية، أم أنه يظل ما قدمه البيروني مجرد محاولة لا تتعدى كونها سرداً تاريخياً لا يملك فيها أسس نظرية واضحة؟ وإلى أي مدى يمكن أن نلامس في واقعنا الراهن ما يحاكي ذلك المنهج؟

أهداف الدراسة:

1- الوقوف على الركائز المنهجية والمعرفية التي ارتضاها البيروني في دراسة الأديان، خاصة في كتابه تحقيق ما للهند.

2- فحص ما إذا كان ما قدمه في مجال دراسة الأديان بأبعادها الأخلاقية والمعرفية يمثل تجربة حقيقية في الفلسفة التطبيقية.

3- معاينة العلاقة بين منهجه والأساس المعرفي الذي كان سائدا في عصره.

4- محاولة استكشاف الفائدة من النموذج المنهجي الذي قدمه البيروني في واقعنا الراهن

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة المنهج التحليلي، ليتم التعامل مع نصوص البيروني وخاصة في كتابه تحقيق ما للهند، في توظيف المنهج من خلال تفكيك مفاهيمه في دراسة الأديان، مع مناقشة طريقة عرضه، واستخدامه لآليات المقارنة، والوقوف على حدود أحكامه.

كما تستند إلى المنهج التاريخي وذلك لفحص البنية المعرفية السائدة في القرنين الرابع والخامس الهجريين، بغرض الوقوف على طبيعة العلاقة بين منهجه والبنية الفكرية لعصره، وفحص مدى مسايرته لعصره أو تجاوزه له.

توظف الدراسة كذلك المقاربة النقدية التقويمية، للوقوف على مدى إمكانية النظر إلى تجربته في دراسة الأديان كأنموذج سابق لعصره في مجال الفلسفة التطبيقية.

1- السياق المعرفي وموقع دراسة الأديان قبل أبي الريحان البيروني:

- منهج علماء المسلمين في دراسة الأديان:

قبل الخوض في المناهج المستخدمة عند علماء المسلمين في دراسة الأديان، لا بد من الإشارة بأن دراسة الأديان كانت مغمورة قبل المسلمين بين الدراسات الفلسفية والنفسية، بينما تميزت عند المسلمين بأنها دراسة وصفية مستقلة عن سائر العلوم، تدرس قضايا

متعددة لديانات أي عصر من العصور، حيث كان للمسلمين قصب السبق في جعل الأديان علماً قبل أن يصل إليه علماء أوروبا بعدة قرون.

أولا: المنهج النقدي والجدلي: حيث ينقسم أصحاب هذا المنهج إلى اتجاهين أو قسمين، إلاّ أن غايتهما واحدة، حيث يختلفان في المنهج، وكذلك في اهتمامات كل منهما. فهناك من هو اتجاهه كلامي: وهو ما كان موجوداً مع المعتزلة، كما تواجد هذا الاتجاه مع الأشاعرة والماتريدية أيضاً،[1] ويختص هذا الاتجاه بدراسة الأديان من الجانب العقدي، الفلسفي والفكري. وهناك من هو اتجاهه نصي: اعتمد هذا الاتجاه على مناهج في نقد النصوص،[2] وهي أساليب نقدية طورها المحدثون، كان غايتها نقد النصوص المقدسة عند الأديان الأخرى، وذلك لإظهار الضعف فيها، وإثبات تحريفها وإبطالها. اتبع هذا المنهج ابن حزم الأندلسي في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل). يقوم هذا المنهج عموماً بطرح قواعد الأديان وأدلتهم؛ حيث يعتمد في دليله على ما يستنبطه العقل، وما تم نقله من أصحاب الدليل في هذا المجال، وهذا ما دعا له ابن حزم في نقد آراء من سبقه في الأديان، موضحاً بأن السبب يعود لكثرة التدوين في هذا المجال، غير أن القليل منه اتبع الطريق السوي في النقد.[3]

[1]– عدنان المقراني: نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 2008، ص14

[2] – عمر بن سكا: نقد الأديان عند أبي ريحان البيروني، مركز دراسات للبحوث والدراسات، بيروت، 2021، ص32.

[3]– عمر الحافي: الموضوعية في دراسة الأديان، مجلة أسلمة المعرفة، المعهد العالمي للفكر 2010، ص14.

وانطلق ابن حزم في دراسته للأديان مما أسماه "البراهين الجامعة الموصلة للحق"، إنها أدلة منطقية تعتمد الحواس والعقل."[1] ووظف ابن حزم منهجه الجدلي في نقد النزعة الجدلية التي وقع فيها المتكلمون في نقدهم للمعتقدات المخالفة، وأكد أن الجدل دون تقديم الدلائل إنما هو شغب لا يجدي نفعاً.[2]

ينبغي الإشارة هنا أن سبب نشأة علم مقارنة الأديان عند المسلمين، يعود "إلى فهم العلماء المسلمين للإشارات القرآنية، واتساع رقعة الدولة الإسلامية، واحتكاك المسلمين مع الأديان الأخرى، إضافة إلى التسامح الذي عرف به المسلمون تجاه باقي الأديان."[3] فقد وجد العلماء المسلمون أنفسهم–بفعل العوامل السابقة – مضطرين إلى قراءة الأديان الأخرى بالدراسة والتحليل، "فمند القرن الثاني الهجري، انفتح الفكر الإسلامي على أديان العالم، وجعلها موضوعاً مستقلاً للدراسة والبحث، وحللوها وقارنوا بينها، وأرخوا لها، وانتقدوا بعضها".[4]

ويعد البيروني رائداً من رواد علم الأديان المقارن، حيث كان له كتاباً في هذا المجال اعتبره المؤرخون من أبرز ما كتب في علم الأديان، سواء في موضوعه أو في منهجه، أو أسلوب تناوله، وهو "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله".

ولا شك أن ما جعل هذا الكتاب يظهر بهذه الصورة العلمية الدقيقة هو اصطحاب السلطان محمود الغزنوي للبيروني في فتوحاته لبلاد الهند، حيث أتيحت له مرافقة

[1]– المرجع نفسه: نفس الصفحة

[2]– المرجع نفسه: نفس الصفحة

[3]– يوسف الشاطر: إسهامات العلماء المسلمين في تأسيس علم مقارنة الأديان أبي الريحان البيروني أنموذجا، مجلة الإحياء جامعة باتنة، 2019، سبتمبر، ص241.

[4]– محمد عبدالله الشرقاوي: في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، دار الفكر العربي ، القاهرة، 2002، ص39.

السلطان محمود إلى بلاد الهند عدة مرات.[1] مما أتاح هذا للبيروني أن يحط بعلوم الهند، ويقرأ أسفارها، ويدرس تقاليدها، فضلاً عن مناقشته لفلاسفتها ومفكريها، فقد حرص على مقابلة ومناقشة كثير من هؤلاء العلماء والمفكرين الحاملين لتلك الثقافة، ليأخذ عنهم مباشرة، تلك الأفكار التي دونها في كتابه، وكانت وسيلته الأولى إلى ذلك إتقانه للغة السنسكريتية، فمكنه ذلك من قراءة التراث الهندي الثقافي من ناحية، ومكنته المحاورة والمناقشة مع العلماء الهنود من معرفة أعماق مناهجهم في البحث والتفكير.

تجدر الإشارة هنا إلى أنه لكي نظهر تميز البيروني في معالجته لهذا الفرع من العلم، لابد من التطرق إلى منهجه في هذا العلم.

2- التحليل المنهجي لتجربة البيروني في تمثيل الآخر من خلال دراسته للأديان

- منهجه في قراءة أديان الهند:

إن ما جعل البيروني بارزاً بين معاصريه في دراسته لأديان الهند هو أتباعه لأسلوب الاستطراد والتحليل عن كل ما يتعلق بأحوال الهند الدينية والاجتماعية والثقافية، والعلمية، لهذا فإنه انتقد الدراسات السابقة عن حضارة الهند، وتقاليدها ومعتقداتها، كونها لا تلتزم هذه المنهجية الراسخة، حيث ذكر إخفاقات ما كُتب في هذا المضمار، ووصفها بقوله "أن أكثرها منحول وبعضها عن بعض منقول وملقوط، ومخلوط، غير مهذّب على رأسهم ولا مشذّب.....لهذا فقد أكد البيروني بأنه لم يجد أحداً كتب في هذا المجال، وأراد السرد النزيهة والالتزام بالحياد، سوى أبي العباس "الإبرانشهري"[2]

[1]- بركات محمد مراد: البيروني فيلسوفاً، الصدر لخدمات الطباعة (سيسكو)، ط1، القاهرة، 1988، ص13

[2]- البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله، ط1، حيدرباد الدكن، الهند، مجلدات1، 1956، ص15.

لقد أراد البيروني في منهجه لدراسة أديان الهند الوقوف عند حدود ضوابط النقد في مستواه الداخلي، قاصداً بذلك مخالفة طريقة أهل الجدل في التأليف، لهذا نراه يقول: وليس الكتاب كتاب حجاج وجدل حتى لا أستعمل فيه بإراد حجج الخصوم، ومناقضة الزائغ منها من الحق، وإنما هو كتاب حكاية.[1]

كما أن منهجه تميز بتناول القضايا الدقيقة في دراسته لأديان الهند، حيث تطرق إلى القضايا العقدية، والتفصيل الداخلي في اختلافات فرق العقيدة الواحدة، وقد كان هذا المنهج العلمي الدقيق لم يعتمد إلاّ في وقت قريب.[2]

وقد اتبع البيروني في قراءة أديان الهند منهجاً مخالفاً عن العلماء المسلمين الذين سبقوه حيث يمكن تحديد مميزات منهجه فيما يأتي:

التحري والأمانة في نقل الخبر:

وهي تعتبر من المميزات الضرورية في أي بحث علمي في مختلف أصناف المعرفة، وخاصة في ميدان دراسة الأديان، وقد التزم البيروني بهذه السمة في كتابه تحقيق ما للهند، حيث نجده ينسب الأقوال إلى أصحابها، أما إذا ما تعرض لموضوع ليس لديه عنه معلومات ومصادر وافية وأصلية، فإنه لا يعوض ذلك بالتخمين والشك، إنما يشير إلى ذلك العجز في كتاباته بكل صراحة وشجاعة.[3] فمثالاً على ذلك أنه عندما درس (للشمنية) وما جاء في اساطيرها وخرافاتها نراه يقول: "ولأني لم أجد كتاباً للشمنية، ولا

[1]– المصدر السابق: ص15

[2]– للا عائشة عدنان ومحمد الزجلولي.، الدراسات النقدية للأديان أنموذج تمثيلي لأبي الريحان البيروني من خلال كتابه تحقيق ما للهند، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، 2020، ص309.

[3]– محمد عبدالله الشرقاوي: مرجع سابق، ص39.

أحد منهم استشف من عنده ما هم عليه، فإني إذا حكيت عنهم فبواسطة "الإيرانشهري" وإن كنت أظن أن حكايته غير محصله، أو عن غير محصلة.[1]

ومن بين ما يؤكد التزام البيروني بسمة الأمانة امتناعه عن إصدار حكم في ذلك الخبر الذي لا يملك عنه إثبات، ففي مبدأ عبادة الأصنام، وكيفية المنصوبات، نجده يعلق بأنه أمر لا علم له، فيقول في ذلك " أما ما قولكم بأن من اليونانية من ذكر أن الأصنام تنطق، وأنهم يقرّب لها القرابين، ويدعون فيها الروحانية، فلا علم لنا بشيء منه، ولا يجوز أن نقضي على ما لا علم لنا به."[2]

ويمكن القول بأن البيروني كان يفوق معاصريه في دراسة الأديان، ذلك أن تصنيف هذا المجال ظل فترة طويلة ضمن مجال العلوم النظرية، غير أن أبي الريحان البيروني لم ينظر إليه نظرة متأمل بل كان يقدمه في إطار الممارسة والعمل، حيث أفاده في ذلك العلوم الطبيعية؛ والتي تتميز في منهجها بالدقة في الملاحظة، والثبات في المعطيات، والمقارنة المنظمة بين القضايا المطروحة.

ولعل أكثر ما يبرز دقة مقارباته أنه أزال الحواجز بين العلوم، فبدت له متداخلة؛ من الممكن أن تتكامل في فهم الظواهر الإنسانية، فكما يتم فهم الحدث الطبيعي وفق شروط ومعطيات معينه، كذلك فإن فهم الظاهرة الدينية يتحقق من داخلها، لا من خلال إسقاطات مسبقة عليها، بهذا الشكل فإن البيروني لم يكن مجرد ناقل لأخبار الأمم وعقائدهم بل كان ممارساً للفلسفة التطبيقية والذي قارب فيها الأديان باعتبارها موضوعاً للبحث المنهجي الدقيق، وليس ساحة للجدل فقط.

[1]– البيروني: تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص206–207

[2]– المصدر نفسه: ص87.

لم يقم البيروني بدراسة نظرية لأديان الهند فقط، بل قام بدراسة علمية لعدة أديان ومعتقدات ومذاهب "حيث جاءت دراساته مستندة إلى الحقائق والمعلومات المأخوذة من المصادر الموثوقة، المدعومة بالملاحظة والتجربة"،[1] ، إذا فقد قام بدراسة هذا تطبيقياً وميدانياً أيضاً، ونستشف ذلك من قوله في مقدمة كتابه تحقيق ما للهند " بسم الله الرحمن الرحيم، إنما صدق قول القائل ليس الخبر كالعيان لأن العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده، وفي مكان حصوله".[2]

وإلى جانب المشاهدة والملاحظة اعتمد البيروني في بعض الأحيان على ما يأخذه من علماء ومنجمي الهند، وكذلك يقوله رجال دينهم، من خلال مقابلتهم، وحديثه معهم، وفي ذلك يقول: "كنت أقف من منجميهم مقام التلميذ من الأستاذ، لعجمتي فيما بينهم، وقصوري عمّا هم فيه من مواضعتهم"[3]

يبدوا لنا هنا التداخل المنهجي، والعلمي الذي اصطبغت به قراءة البيروني للأديان، حيث يتضح اعتماده على تطبيقات انثروبولوجية عند اعتماده على المقابلات التي يجريها مع العلماء والمنجمين لتدعيم آرائه، والخروج بنتائج موثوقة، ولا شك أن هذا ما جعل قراءاته في هذا المجال تعد من أبرز القراءات حتى عصرنا هذا.

امتلك البيروني معالجات منهجية واضحة ومنضبطة لتلك المشكلات التي طرئت أثناء دراسته للآخر، من خلال آرائه الانثروبولوجية، والتي عرفت في الفكر الغربي الحديث

[1]- Kamar Oniah Kamaruzzaman .(2003) .Al-BÊrËnÊ :Father of Comparative .)no2.116

[2]– البيروني: تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص13

[3]– المصدر نفسه: ص22

بـ(المشكلات الجديدة)، حيث نادى إيميل دوركايم بطرح هذه المشكلات واستبعاد المشكلات القديمة*[1] ويرى أن أسئلة المشكلات الجديدة للأنثروبولوجيا أكثر تحديداً ودقة، بعد أن كانت أسئلة تدور حول البدايات والأصول الدينية، وأصبحت الدراسات الانثروبولوجية عند دوركايم وغيره من الانثروبولوجيين أكثر تحديداً ودقة، وتداخلت الدراسات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية بمفهوم الدين والحياة الدينية.

نلامس عند البيروني هذا المستوى المنهجي من الطرح الفكري المتطور والسابق لعصره؛ في فهم المشكلات الانثروبولوجية الجديدة، فنراه يبين أن القضايا السياسية والاجتماعية تتداخل مع مفهوم الدين، ذلك ما نلاحظه عندما يورد قصة غزو محمود بن سبكتكين لبلاد الهند فأباد خضرائهم، وفعل ببلادهم ما صاروا به هباء منثوراً، مما جعل ما بقي منهم متشرداً، في تنافر وتباعد مع المسلمين، فأدى ذلك إلى استحكام القطيعة مع جميع الأجانب، وذلك بسبب السياسة والديانة.[2]

إذا فطالما أن أساليب وجود وفعل بشر معينين تطرح مشكلات على بشر آخرين؛ سيكون هناك حيز للتفكير والتأمل بشأن هذه الاختلافات، التي ستمثل على نحو متجدد دائماً مجالاً لدراسات الانثروبولوجيا.

هذا ما فعله أبي الريحان البيروني فقد طرح مجالات أنثروبولوجية لم تكن معروفة في

*المشكلات القديمة: تجعل الدين مجرد نتيجة للأحلام والاندهاش أمام الظواهر الطبيعية التي يعجز الانسان عن إخضاعها، والتحكم فيها.

[1]- لحسن الصديق. (2020أبريل). الانثروبولوجيا الدينية. *مجلة الإنسان والمجال*(العدد 1)، الصفحات 49-50.

[2]– البيروني: مصدر سابق، ص16–17.

عصره، بل إن نبوغه جعله يطرح مشكلات علمية تلامس أكثر من مجال علمي واحد، وبهذا تكون نظرته استباقية في طرح قضايا تقرأ بمنهجية علم، وفي نفس السياق تقرأ بمنهجية علم آخر، هذا المستوى من الفهم لم يصل له العلم إلاّ في نهاية القرن التاسع عشر، فكان البيروني بذلك يستحق أن يكون سابقاً لعصره بكل جدارة واستحقاق.

الحياد والموضوعية: أراد البيروني من خلال هذه السمة ومن خلال كتابه (تحقيق ما للهند) ترسيخ منهج الوصف والتحليل، وتطهير عقول القراء من رواسب ثقافة الجدل، وتشويهات الأديان.

اعترف البيروني بصعوبة منهجه الذي يطمح إليه في قراءة الأديان، موضحاً عوائق تطبيق هذا المنهج على كامل الكتاب، رغم أنه أكد التزامه به في أغلب الحالات، وفي هذا نجده يقول "وأنا في أكثر ما سأورده من جهتهم حاك غير منتقد، إلاّ عن ضرورة ظاهرة".[1]

نلاحظ أن البيروني كان يريد من خلال هذا الكلام توضيح أن الالتزام بالحيادية المطلقة في دراسة الأديان مطلب يصعب تحقيقه رغم ضرورته، لأن ذات الباحث وثقافته قد تحضر في دراسته،[2] إلاّ أن ذلك لا يمنع من اعتماد منهج الوصف الذي يطلعنا بشكل واضح على الثقافات الأخرى، وفق تفكيرهم، وليس من خلال ما تمليه وتحدده ذاكرة القارئ وخياله.

[1]– نفس المصدر: ص22

[2]- Fadila Grine, Wan Adli Wan Ramli, Khadijah Mohd Khambali @ Hambali, Siti Fairuz Ramlan, - Nurhanisah Senin .(2018) .Systems Understanding the ‘other :’the case of Al-Biruni (973-1048 .*International Journal*.

يبدو أن عمق إيمان البيروني بمعتقده لم يكن عائقاً له في الاطلاع على الأديان الأخرى، بل زاد من إصراره على تحديد هدفه وسرده دون تحيز، فدينه كان دافعاً ومحفزاً له، ذلك لأن هذا كان مشابه (للمنهج القرآني القائم على إجراء الحوار مع الآخر)،[1] وقد اعترف بعدم تحيز البيروني لأي رأي ثلاثة من علماء الغرب: أحدهم الانا G.Allana حيث يقول عنه، " إن البيروني ألف كتابه عن الهندوسية ولم يكن فيه متحيزاً، أو متعصباً، واستشعر واجبه كمسلم في اقتباس نصوصه كاملة، ولم يكن كتابه كتاباً جدلياً، بل هو تسجيل تاريخي للحقائق، قد وضع فيه أمام القارئ نظريات الهندوس كما هي"[2]

كذلك ما أورده الباحث الأمريكي (إيمبريك) والذي قال في مستهل حديثه عنه "يتقدم البيروني نحو فهم الاختلافات الثقافية، ويقوم بعرض عقائد الهنود، تاركاً أمر التعبير عن ذلك يذكرونه هم بأنفسهم، ومن خلال فهمهم"[3]

ويبدو أن أبرز الأوصاف بالحيادية ذلك الذي جاء عن (إدوارد سيخاو) حيث يقول: " إنك ستقرأ بعناية صبغات عديدة من الكتاب، دون أن يتبادر إلى دهنك أن صاحب الكتاب مسلم وليس هندوسياً"[4]

ولكن إلى أي حد أسهم منهج المقارنة عند البيروني في تمثيل الديانة الهندوسية تمثيلاً داخلياً أقرب إلى منطق أهلها؟

---

[1]- Fadila Grine, Wan Adli Wan Ramli, Khadijah Mohd Khambali @ Hambali, Siti Fairuz Ramlan, - Nurhanisah Senin .(2018) .Systems Understanding the 'other :'the case of Al-Biruni (973-1048 .*International Journal*.

[2]– محمد عبدالله الشرقاوي: مصدر سابق، ص39.

مسعود حايض: مدخل لدراسة الأديان. دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع. 2010، ص3.46-

4 - المصدر نفسه: نفس الصفحة .

- **توظيف منهج المقارنة في دراسة الأديان:**

تناول البيروني أهمية وضرورة تطبيقه لهذا المنهج في مقدمة كتابه، عندما قال: "فأورد كلام الهند على وجهه، وأضيف إليه ما لليونانيين من مثله لتعريف المقاربة الشبه من هذه الأفكار في الفكر الإسلامي، وخاصة عند الصوفية المسلمين الذين يتوصلون بأذواقهم ومواجيدهم إلى ما ينسبه هذه الأفكار الهندية، وخاصة في المجالات التطبيقية، والمجاهدات النفسية، التي تولد في الإنسان قوى غيبية كامنة، وتنفجر لديه تلك المواهب الغزيرة التي يطلق عليها الكرامات، أو خوارق العادات.[1]

إن منهجيته هذه لا تهتم بمشكلة التأثير والتأثر، بقدر ما تعالج هذه المشابهات الخاصة بالروح والوجدان، وذلك لأنها تجارب ذاتية تخص الإنسان في زمان ومكان ما.

أراد البيروني تقديم عرض صادق وواضح للقيم الهندوسية، وذلك ليفتح المجال أمام التفاهم المشترك والحوار العلمي بين المجتمعين العربي والهندوسي، والذي لا شك أنه كان يسعى إليه في منهجية هذه الدراسة، حيث كانت نظرته تنطلق من مبدأ استيعاب الآخر بعد دراسته، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف، ولعل عنوان كتابه ذال على هذا، فليس كل عقائد الهند عنده (مرذولة) بل منها ما هو (مقبول) ويمكن على أساسها إقامة أرضية مشتركة، للتقارب بين الشعوب.[2]

أثناء تأمل منهج البيروني في مقارنة الأديان؛ لن نجده ينظِّر تنظيراً مجرداً عن التسامح أو عن الإنسانية بوصفهما شعارات، بل سنجده يمارس ذلك عمليا من داخل نسقه

[1]– البيروني: تحقيق ما للهند، ص77.

[2]– منى أبوزيد: العلاقة بين الأديان عند العامري والبيروني. *مجلة التفاهم*، 2018، صفحة 62.

المنهجي، هنا تحديداً يظهر توظيفه للفلسفة التطبيقية: والتي ليست عنده فيما قاله في (مقارنة الأديان)، بل في أسلوب عمل يطبق ما قاله من قيم في هذا المجال البحثي.

إن محاولة البيروني بمنهجه البحث عن التفاهم المشترك بين دينه والأديان الأخرى لم تفقده انتمائه لدينه، لأنه جعل العقل ركيزة للتوازن بين الانتماء ومعرفة الآخر.

إن هذه المنهجية المنضبطة في مقارنة الأديان كان يفتقدها معاصرية كأبن حزم الأندلسي في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) فرغم امتلاكه عقلاً تحليلياً، إلاّ أنه لم يكن محايداً بالمستوى الذي كان يمتلكه البيروني في منهجه.[1]

ناهيك عن الشهرستاني أيضاً في كتابه (الملل والنحل) والذي كان منهجه يغلب عليه الطابع العقدي، والذي أثر بشكل واضح على الحيادية في طرحه.[2]

فالفرق بين البيروني ومعاصريه لم يكن في افتقار أقرانه إلى العقل والمنهج، بل يعود الفرق إلى أن الفلاسفة الذين عاصروه كان منهجهم موظف في الإبطال العقدي، في حين كان منهج البيروني يلتزم الوصف المقارن قبل الحكم.

هكذا فإنه كان يتمتع بمستوى من الوعي المنهجي في الحديث عن الآخر في إطار الفهم الداخلي للثقافة نفسها، أي كما يعيشها أهلها، في الوقت الذي غلبت على معاصريه النزعة الجدلية.

---

[1] -Mahmudul hasan. syed mahbubul alam al-hasani. Mochammad maola . .(2024)ibn hazm framework of comparative relion based on his book al-fasl fi al-milal wa al-ahwa wa al-nihal .*quantum journal of social scienes and huma*)no1.

[2]- Ali Shamsi) .January, 2025 .(Max weber,s Methodlogical Approach to the Problem of values in His project of objectivity in the socil sciences .*TMP Global of Research and Reviews, Volume*.(4)

وفق ما سبق ذكره فإن مقارنة الأديان عند البيروني لم تكن مجرد مقاربة في قراءة الأديان هدفها ترجيح دين عن دين، إنما هي محاولة علمية قصد بها (تثبيت قواعد الدين وترسيخه)، للمجتمع الإنساني قيد الدراسة، أفراداً وجماعات، وهما معاً يؤسسان لمنهجية صارمة في الرؤية الدينية لمقولات الفرق المختلفة، من التأسيس العالمي لمقارنة الأديان بوصفه علماً تصبح العلوم الإسلامية مناصره لا متناصرة معه.

وبهذا كان البيروني سابقاً لعصره في قضية حوار المجتمعات، والتي لم يدركها المجتمع الغربي إلاّ مؤخراً، وهي المعروفة حالياً، بمشكلة (حوار الحضارات).

لعل من بين ما دعم به البيروني منهجه في مقارنة الأديان، وأظهر فيه تميزه عن علماء عصره تأكيده للتداخل العلمي بين الفروع العلمية، والذي كان على وعي تم به مند ذلك الوقت، مما يظهر من جهة مدى توظيف ذلك في دراسته للأديان، ويظهر من جهة أخرى بروز ما يشير إلى الفلسفة التطبيقية في دراسته لهذا المجال (دراسة الأديان المقارنة). لذلك فقد "استخدم في عرض عقائد الأديان ودراستها المنهج التاريخي والأنثروبولوجي،[1] فدراسته لم تكن سرداً تاريخياً لاعتقادات الهنود الدينية والعلمية والأخلاقية فقط، بل أقام المقارنة في إطار علمي محايد.

- **منهج البيروني في فهم الآخر: قراءة في أبعاده الفلسفية والتطبيقية**

حتى يمكننا توظيف منهج البيروني في معالجة واقعنا الذي نعيشه لا بد أن نستحضر منهجه كنموذج لا أن نستحضر تاريخه وأحداثه. فالبيروني لم يكن مهموماً بالسؤال

[1]- منى أبوزيد: العلاقة بين الأديان عند العامري والبيروني. *مجلة التفاهم*، 2018، صفحة 62.

عمن يكون محقاً في عرضه لقضية معينه، بل كان مهموماً بالكيفية التي تجعله يفهم الحدث، رغم أن ظاهر اهتمامات منهجه تظهر أنه تفصيل صغير؛ إلاّ أن هذا التفصيل يقلب قواعد اللعبة من أساسها.

هنا يجعلنا نتساءل أين تكمن فائدة أبي الريحان البيروني في واقعنا اليوم؟

إذا ما أخذنا مثالاً عن مواقع التواصل الاجتماعي والتي قرّبت المسافات، وسهّلت التواصل بين الثقافات، غير أنها تفتقر إلى وسائل الإدراك العميقة، فنحن قد نحكم على الآخر وفق اقتباس مبتور، أو ربما من مقطع مجتزأ. نبه البيروني من هذا القصور الإدراكي، مؤكداً على ضرورة ألاّ يتم محاكمة فكرة حتى يتم بناءها وفق ثقافة مصدرها. تلك هي المهارة التي نحن في حاجة إليها في إعادة ترميم خطابنا الديني والإعلامي والسياسي. ذلك ما يمكن أن نفهمه بل ونؤكده من نص للبيروني في قوله "وليس الكتاب كتاب حجاج فأستعمل فيه ألفاظ الخصوم، ولا كتاب تعصب فأميل فيه مع الأهواء، وإنما هو حكاية قول كما هو"[1]

من الممكن أن نلامس في منهج البيروني ما يرشدنا للانضباط الداخلي في البحث الأكاديمي، فمن خلال تشديده على الحياد وأهميته في منهجه، نجد أنه لم يكن يحدر من مجرد تفصيل بسيط إنما أراد به أن يحدد أولويات الوصف قبل التقييم، وهذه تعد مهارة مهمة وضرورية في الدراسات التي تعتمد منهج المقارنة إلى يوم الناس هذا.

[1]– البيروني: تحقيق ما للهند، ص15

هناك من البحاث من يسقط في عملية الخلط بين هاتين الأداتين، فعندما أشار البيروني إلى الفرق بين الوصف والتقويم، والذي يأتي في العقل لاحقا للوصف ومنفصلاً عنه.

أي أننا إزاء مرحلتين عقليتين هما

الوصف: والتي تكون فيها وظيفة العقل منصبة في فهم الظاهرة كما هي في بنيتها الداخلية.

التقييم: والتي تكون فيها وظيفة العقل هي التقييم وفق المعايير الخاصة بالباحث.

وبمجرد الخلط بين هاتين المرحلتين دون شعور سيسبق التقييم الوصف، ويكون الباحث شأنه شأن القاضي الذي صدر حكما على متهم قبل أن يستمع للشهود.

إن التمييز بين الوصف والتقييم من الركائز الأساسية في البحث العلمي التي شدد عليها أيضاً مفكرين معاصرين أمثال (ماكس فيبر 1864–1920) حيث نراه يستحضر فكرة الحياد كشرط للبحث العلمي، فبحضور هذه الفكرة يكون الباحث قادراً على الفصل بين تحليله للظاهرة كما وجدها، وبين موقفه من الظاهرة، لأنه يرى أن مهمة العلم هي الفهم والتفسير.[1].

[1]- Ali Shamsi) .January, 2025 .(Max weber,s Methodlogical Approach to the Problem of values in His project of objectivity in the socil sciences .*TMP Global of Research and Reviews, Volume*.(4)

كما سار على نفس خطى البيروني المفكر (يورغن هابرماس 1929) وفرق بين الفهم التواصلي، والموقف الاستراتيجي، وأشار إلى أن الفهم يُشترط فيه احترام ما يصفه الآخر حول ثقافته قبل أن نخضعه للنقد، فالنقد لا يمكن أن ننتقل به إلى مرحلة المشروع إلاّ بعد أن يتحقق فهم ثقافة ما سيتم انتقادها.[1]

إن نص هابرماس يجعلك تتفطن لشيء مهم في اكتمال صورة الحوار العلمي المحايد، وهو أنه عندما يتم الفصل بين الوصف والتقييم؛ لا يعني أن عملية التقييم ممنوعة، بل تعني أنها مؤجلة، وتأجيلها ليس دليل ضعف؛ بل قوة منهجية، ذلك لأن الحكم على الأشياء بعد فهمها فهماً عميقاً تكون النتائج أكثر دقة وعمقاً وصرامة.

إن مهارة تأجيل النقد والحكم على الآخر قبل فهمه في ظل التحولات الرقمية التي تشوش لنا ما يصف لنا الآخر؛ باتت مفتقدة في كل جانب من جواب واقعنا الذي نعيشه إلى يوم الناس هذا.

2- الخاتمة:

تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن الفلسفة التطبيقية في الفكر الإسلامي لا تقاس بمعاييرها المدرسية الحديثة، بل في روح ممارستها، تلك المرحلة التي تم الانتقال فيها بنشاط الفكر من التنظير إلى الممارسات التي تمس الواقع الإنساني. وفي هذا المضمار يبرز البيروني لا باعتباره مؤرخاً للأديان فقط، وإنما باعتباره مفكراً طبق

[1]- Michael Rotte, Claudia Denke Michael Schaefer-Hans-Jochen Heinze) .May, 2013 .(Communicative versus Strategic Rationality: Habermas .*Mational Library of Medicine*.

الفلسفة في واقعه المعاش، فنراه من خلال نصوصه يلاحظ، ويطرح السؤال، ليقارن ومن ثم ينتقل إلى الفهم، والذي يعد شرط اكتماله وتمامه أساساً للانتقال إلى الحكم.

إن البيروني عندما تحدث عن الآخر في دراسته للأديان لم يكن مقصده أن ينتصر لآرائه، بل أراد فهمهم كما عبروا عن أنفسهم، فحاول أن ينقل ما قالوه بكل أمانة ودقة وحياد، وأن يشرح معتقداتهم وفق لغتهم ومنطق تفكيرهم، وهذا في حد ذاته يعد فلسفة تطبيقية، لأنه يرتكز على الحياد، وعلى أن يسبق الفهم النقد، وهو الأساس الذي تبناه فيما بعد العلماء المعاصرين.

إنه عندما جعل الفهم شرطاً للنقد، فهو قد طبق الفلسفة في سلوكه البحثي، لأنه لم يتحدث عن الأخلاق، بل مارسها معرفياً. وهكذا يمكن أن يكون تمثيل الآخر عند أبي الريحان البيروني أحد التصورات المبكرة في الفلسفة التطبيقية.

لا شك أن الفهم العميق والتوظيف الدقيق لمنهج البيروني في تمثيل الآخر سيجعلنا قادرين على مواجهة أزمة القصور والتظليل التي باتت تحدثها وسائل التواصل الحديثة أثناء نقل ثقافة الآخر، والتي تنقل لنا كل لحظة صور مبتورة أو مقاطع متجزأة، مما يجعلنا غير قادرين على إصدار أحكام محايدة عن الآخر فتكون الأحكام خاطئة لأن فهمها مبثور.

المراجع العربية"

1-البيروني. تحقيق ما للهن من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، حيدراباد الدكن، .1952

2-بركات محمد مراد. البيروني فيلسوفاً (المجلد 1). القاهرة: (1988).الصدر لخدمات الطباعة (سيسكو).

3-عدنان المقراني. نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي. دمشق: المعهد العالمي للفكر الأسلامي،(2008). دار الفكر.

4-عمر الحافي. الموضوعية في دراسة الأديان. أسلمة المعرفة(العدد 14)،(2010).

5-عمر بن سكا. نقد الأديان عند أبي ريحان البيروني. (2021).

6-لحسن الصديق. الانثروبولوجيا الدينية. مجلة الإنسان والمجال(العدد 1)، (2020أبريل).

7-للا عائشة عدنان ومحمد الزجلولي. الدراسات النقدية للأديان أنموذج تمثيلي لأبي الريحان البيروني من خلال كتابه تحقيق ما للهند. مجلة العلوم القانونية والاجتمناعية(العدد3)، (2020).

8-محمد عبدالله الشرقاوي. في مقارنة الأديان بحوث ودراسات. القاهرة: دار الفكر العربي. (2002).

9-مسعود حايض. مدخل لدراسة الأديان. دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع. (2010).

10-منى أبوزيد. العلاقة بين الأديان عند العامري والبيروني. مجلة التفاهم،(2018).

11-يوسف الشاطر. إسهامات العلماء المسلمين في تأسيس علم مقارنة الأديان أبي الريحان البيروني أنموذجا. مجلة الإحياء جامعة باتنة،(سبتمبر، 2019).

المراجع الاجنبية:

1-Abu Haif. Andi Liliana ansar. islahuddin ibrahim.Abdurrahman sibghatullah. (july, 2025). The Relevance of Al-syahrastani,s Al-Nihal Methodology to .contemporary islamic Historiography. Seejarah peradaban islam

2-Ali Shamsi. (January, 2025). Max weber,s Methodlogical Approach to the Problem of values in His project of objectivity in the socil sciences. TMP .(Global of Research and Reviews, Volume(4

3-Fadila Grine, Wan Adli Wan Ramli, Khadijah Mohd Khambali @ Hambali, Siti Fairuz Ramlan, - Nurhanisah Senin. (2018). Systems Understanding the . 116 صفحة ‘other’: the case of Al-Biruni -(973-1048. International Journal

Kamar Oniah Kamaruzzaman. (2003). Al-BÊrËnÊ: Father of Comparative. -4.،((no2

5-Mahmudul hasan. syed mahbubul alam al-hasani. Mochammad maola. (2024). ibn hazm framework of comparative relion based on his book al-fasl fi al-milal wa al-ahwa wa al-nihal. quantum journal of social scienes and .(huma(no1

6-Michael Rotte, Claudia Denke Michael Schaefer-Hans-Jochen Heinze. (May, 2013). Communicative versus Strategic Rationality: Habermas. Mational .Library of Medicine